

جماليات المكان في الشعر الموجه إلى الطفل.

The aesthetics of the place in the poetry directed to the child
L'esthétiques de la replace dans la poesie destinée a l'enfant.

د. علاوة كوسة

المركز الجامعي ميللة (الجزائر)

koussaallaoua@yahoo.fr

الهاتف : 0668916916

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال:
2019-02-28	2019-01-30	2018-12-07

الملخص:

نبحث من خلال هذه المقال ، في أحد أهم مكونات النص الشعري ، وفي ركيزة أساس في جماليات التخاطب الشعري الموجه إلى الطفل ، ونقصد " جمالية المكان " ، وذلك من خلال مجموعة شعرية عنوانها : " نغم على نغم " للشاعر قحطان بيرقدار، هذه المجموعة الشعرية الحائزة على جائزة الشارقة لأدب الأطفال عام 2008 م . والتي تتضمن واحدا وثلاثين نصا شعريا، تعددت أغراضها وموضوعاتها وبنياتها الفنية والإيقاعية ، حيث سنطلق من مهاد نظري نتطرق فيه إلى مفهوم المكان في الدرس النقدي العربي والغربي ، بأنواعه وتقسيماته ومحمولاته ، وضرورة الاشتغال عليه في المدونات الشعرية عموما ، والموجهة إلى الطفل خصوصا ، لنعرج بعدها على أمثلة تطبيقية نقارب من خلالها شعرية الأمكنة التي تضمنتها المجموعة الشعرية " نغم على نغم " الموجهة إلى الطفل.

-الكلمات المفتاحية: (الجمالية – المكان – الشعر)

Abstract :

In this article, I study the aesthetics of place which is the most important component of poems and the backbone of the aesthetics of the poetic discourse addressed to child. This is through a poetic collection that won the Prize of Sharija for children's literature in 2008, entitled « Naghham Ala Nagham » by Kahtan Birkadar. The collection contains thirty-one poems with different goals, themes, artistic and rhythmic structures. In this work, I start from a theoretical basis, in which I talk about the definition of place with its types, subdivisions

and connotations in the Arabic and Western critical lesson, as well as the need to work on the aesthetics of place in poetry in general and in that addressed to children in particular. Then, I move to practical examples in which I highlight the poetics of those places found in the poetic collection « Nagham Ala

Nagham ».

(The aesthetics - the place - the poetry)

- مستخلص باللغة الإنجليزية:

The place is considered as a primary component in many narrative and poetic arts. This is because of its importance in containing elements of the literary work. Place has received great attention from the part of critics and scholars through ages. Examiner of Arab critical tenderloin alludes that obvious interest towards the element of place and from its different corners and levels in narrative and poetic texts directed to adults and children alike. Place is not a space for literary work as many think, and it is not a mere frame and an ordinary space. But it is one of the major constituents of which does not just involve characters, time, language and style. However, it participates in forming the literary narrative or poetic vision, as it creates wide spaces for reading and interpretation for receivers who are conscious about the value of place, particularly in contemporary literary texts.

In light of the modern textual approaches of the literary text, and in that sense, our extreme consciouness to the value of place as a crucial factor in the formation of literary text when we thought to realize this critical study. We seek through this article one of the main constituents of poetic text mainly in the aesthetics of poetic discourse directed to children, and we mean aesthetics of place and this is through a poetic collection entitled « Nagham Ala Nagham » by the poet Kahtan Birkadar which got the Sharika prize of children's literature in 2008. It involves thirty-one poetic texts with a variety of goals, themes and artistic and rhythmic structures. It created several artistic and aesthetic questions which we sought to stop at by reading, analysing and interpreting. So, we start from a theoritical concept to tackle the defintion of place in Arab and Western critical lesson with all its types, divisions, connotations and many relations with elements of other poems, from time, language, style and other poetic lattice contributed to building literary poetic text directed to children. Besides, my desire and interest always insisted on the need to work on place

aesthetics in poetry in general, and that directed to children in particular. This is mainly because little studies tackles children's literature and especially the aesthetics of place in child poetry.

This is what made me to specialize in research and endeavoring the present exact, specialized and serious studies and researches in such domain.

In such studies, the researcher must set his theoretical and conceptional paradigm, so that he identifies the notion and concepts of « place » and address the differences between terms as a place, space and area. Then, I endeavored to approximate from the target blog which is a poetry collection marked « Nagham Ala Nagham » by Kahtan Birkadar where I tried to sense the aesthetics of the place in all of its poetic texts which their places, atmospheres and concepts varied. I went through practical examples to approach the poetry of place that they contained trying to trace and track its lattice, meaning and relations with factors and aesthetics that form poetic texts as language, time, semantics and rhythm, too.

We concluded our research with a set of results that we attained through our study which are about the types of places in this collection, applying place in poetry directed to child, and to the importance of place in poetic text. And the need for awareness of the poets with aesthetics of place when forming and making their poetic texts. I hope that my research will be an addition for researches in children's literature.

أولاً- في المهاد النظري: المكان والنص الشعري:

إنّ الخوض في مجال أدب الأطفال هو ضرب من الشجاعة العلمية ، والمغامرة البحثية ، وذلك لندرة الدراسات التي تتناول هذا الأدب منذ ظهور تجارب عربية في هذا المجال بعد أن عرفت تطوراً وانتشاراً كبيراً في المحاضن الغربية ، وتسربت عصارته هذه التجارب الغربية في أدب الأطفال إلى المشهد الأدبي العربي إن ترجمة أو محاكاة أو إبداعاً جديداً، واحتاجت فترةً طويلة من الزمن والتقبل والاهتمام ، لتخوض فيها أقلامٌ عربيّة بكثير من النقاش الأكاديمي ذي المسحة التاريخية الوصفية ، وإذا كانت هناك من دوافع جادة لانتشار هذا النوع من الأدب فإنها لا تتوقف عند الحركة الكمية للكتابة والطبع والنشر فالتوزيع ، فما تلك الخطوات إلا آليات لا بد منها ، ولكن الرهان الحقيقي في خوض هذه المغامرة والرهان على انتشار أدب الأطفال بشكل معمق وواع ومتزن إنما هو تطوير أدوات الكتابة للطفل وتأهيل قدرات الكتاب لتكون في مستوى الأفق القرآني للطفل لكي تحقق اكتفاءاته العاطفية والجمالية والنفسية وذلك باللغة المناسبة والتخييل الواعي والإلمام بعوالم الطفل

والاقتراب من متطلباته القرائية المختلفة " ، على أن هناك جانباً آخر في الخبرة الفنيّة لا يقلُّ أهميّة عن المهارة في استعمال التقنيّات ، هو الجانب الجمالي الذي يهدف العمل الأدبي ويجعله ينتسب إلى الفنّ. ذلك لأنّ الجمال جوهر الفنّ ، وحين يستعمل الأديب هذه التقنيّة الأدبية أو تلك فإنه يهدف إلى توفير الجمال للعمل الأدبي. ومن ثمّ لا بدّ له من تثقيف نفسه جمالياً إذا رغب في أن يقود موهبته إلى التجسيد في عمل فنيّ ممتع مؤثّر. "1

يصبح الإبداع من الواقع القريب من الطفل ضرورةً ملحّة لكي يكون هناك تناسبٌ معرفي وإدراكي للطفل في النصوص التي تقدم إليه بوسائل مختلفة ، وهذا تفادياً لهزّات ترجمة واجتياحات نصيّة من أدب الآخر التي قد تكون بعيدة عن مدركات الطفل ما أخطأت الترجمات في نقل كثير من النصوص من ثقافات ولغات مختلفة إلى لغة وثقافة جديدة، وهذا ما يلجّ على "ضرورة كتابة محلية للطفل ، كما أن هناك ضرورة ملحّة للكتابة للطفل استناداً إلى واقعه القريب وعوالمه المعيشة دون إهمال المسحة المحلية والطابع الواقعي المستند على وقائع طفولية معروفة بالنسبة إلى الطفل القارئ، وقريبة من واقعه بكل تأثيراته المكانية والفنية والواقعية."2

لا يكاد "سمر روجي الفيصل" يتنكر للترجمة في أدب الأطفال عموماً إنما يراها اتجاهاً ذا حدين فيقول : "لا أشك في أن مصطلح (الاختراق الثقافي) يدل على مفهومين متناقضين، إيجابي وسلبي ، ذلك أن أدب الأطفال المترجم يسهم في اتّساع أفق الطفل العربي ومعارفه ، حين يُطلّعه على عادات الشعوب وأحوالها وتاريخها ونضالها ومفاهيمها للحياة والكون ، وما إلى ذلك من أمور إيجابية. ولكنه في الوقت نفسه يُهدّد قيم الطفل العربي وعاداته وتقاليدته وارتباطه بأسرته ومجتمعه ووطنه وأمتة حين يطرح قيماً مناقضة لها، ليست نابعة من أيديولوجيته وبيئته وتاريخه"3

إذا كانت الترجمة مستنداً كميّاً وكيفياً في تفعيل نشاط الكتابة والنقل للأطفال ، فإنّ من الحلول الاعتمادُ على الكتابة لهم من لدن كتّاب عرب ينتقلون من واقعهم عائدين ، رغم الاعتراف بصعوبة كتابة الشعر للأطفال و"يتفق الكثير من المهتمين بأدب الأطفال أن نظم الشعر لهمؤلاء أصعب بكثير من نظمه للكبار وذلك راجع إلى الاعتبارات التالية: مراعاة المستوى العمري والفكري واللغوي والنفسي، ومتى روعيت هذه الشروط يكون للشعر أثره الإيجابي والفعال في نفس الطفل وبالتالي يجب أن يكون محتوى الشعر الموجه للأطفال مناسباً لمستوياتهم العقلية وقدرتهم على الفهم والتذوق"4، وإذا كانت كل مجالات الكتابة للطفل مهمة وذات فوائد، فإنّ "الشعر يدعم بقوة تربية الأطفال التربية الروحية الصحيحة، إن الطفل ذو حس مرهف وخيال خصب، يتلقى الشعر فينفع وجدانه ويتحقق التواصل ، فيرى الشاعر السوري "سليمان العيسى ، وهو أحد رواد شعر الأطفال بأن أجمل هدية تقدم للطفل ليست حلوى أو لعبة وإنما هي الكلمة المعبرة من خلال الأغاني والأناشيد لهذا أولى الشعراء اهتماماً كبيراً لشريحة الأطفال من خلال الشعر باعتبارها وسيلة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى"5

يؤكد هذه الأهمية الشاعر سليمان العيسى حيث يقول في مقدمة مجموعته الشعرية الموجهة للأطفال: "بالشمس والهواء والماء تنفتح أزهار الربيع.. بالموسيقى والحركة والغناء يتفتح الأطفال على كل جميل ورائع.. دعوا الطفل يغنّ. بل غنوا معه.. أيها الكبار دعوه يتفتح.. إن الكلمة الحلوة التي نضعها على شفثيه هي أئمن هدية تقدمها له.. لكي يحب الأطفال لغتهم.. كي يحبوا وطنهم.. لكي يحبوا الناس والزهر والربيع والحياة.. علموهم الأناشيد الحلوة.. اكتبوا لهم شعرا جميلا.. شعرا حقيقيا"6 ، ويضيف سليمان العيسى: أنا أعتقد أن الشجرة العظيمة بنت الغرسة العظيمة وأن الصغير الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير والحياة الخصبة المبدعة"7 ، ولأن "الشعر أكثر قدرة على نقل التجربة ففيه النغم الصوتي والصور الفنية والنسيج اللفظي والبناء الفني والشعر بذلك قادر على تحريك كل مظاهر النشاط الكامنة في روح الإنسان وهو يجعل التلاميذ أكثر وعيا بوجودهم"8

إذا خصصنا الحديث في مجال الشعر الموجه للطفل عن عنصر المكان فهذا أمر فيه شيء من الصعوبة أيضا وذلك راجع إلى "صعوبة التعامل مع عنصر "المكان" ودلالته في العمل الأدبي بمعزل عن بقية المكونات والعناصر الأخرى لهذا العمل . فالمعروف أنّ هناك تلاحماً وترباطاً بين جميع عناصر/ مكونات العمل الأدبي"9 ، ولعل تركيزنا على عنصر المكان لم يأت بالصدفة ولكن لأن دراسة المكان تكشف كثيرا من جوانب تحكم كاتب شعر الأطفال في فنيات النص الشعري حيث «يقوم المكان في النص بوظيفة العمود الفقري»10 ، ويؤكد هذا الطرح موسى ربابعة في قوله: «يعني المكان بالنسبة للإنسان أشياء متعددة ، فهو المأوى والانتماء ومسرح الأحداث»11، لذلك اشتغل الأدباء على هذا المكون الفني الهام سواء في الشعر أو النثر، وحاولوا تأثيثه بوصفه عماد العمل الأدبي ومنه تستمد بقية العناصر الفنية طاقتها وجمالياتها" ويمكن القول إن المكان ليس مجرد وعاء خارجي أو شيء ثانوي ، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني»12،

إن الحديث عن المكان في أي عمل أدبي هو حديث عن العمق والدقة بعيدا عن المعنى السطحي ، فلم يعد المكان «الأرضية التي تتوزع على خارطتها الأحداث ولا هو الشكل البلاستيكي المبني من الطوب والحجر والقصب (...) كما أنه ليس متكأ للفن الرديء الذي يجد في أجزائه مادة للوصف المركب وإنما هو ذلك الشيء الذي يستحيل الفن بدونه أن يسمى فنا»13.

ثانيا- شعرية المكان في ديوان " نغم على نغم"/الرؤيا والتشكيل:

من الدوافع الكبيرة التي جعلتني اختار ديوان "نغم على نغم" موضوعا لدراستي ، هو اشتغاله العميق على المكان ، وتجلي المكان في كامل قصائد الديوان بتنوع وعمق وفائض من الدلالات وغزارة في الإيحاءات ، فلم يكن المكان مسرحا للأحداث والأفعال وتحرك الذوات الشعرية فحسب ، بل تجاوز هذه الأشكال من التجلي ، ولعل أول مكان تجلى بقوة حضور وعمق في الحميمية والألفة هو " البيت" بتمظهرات عديدة ، بداية من كونه مسكنا ، ومأوى ، كما يكون البيت أيضا مكانا للالتقاء

الأهل والزيارات ومحكا للبعض لتحمل مسؤوليات القيام بشؤونه ، كما يرى غاستون باشلار: «كل الأمكنة المأهولة حقا ، تحمل جوهر فكرة البيت (...) وأن الخيال يعمل في هذا الاتجاه أينما لقي الإنسان مكانا يحمل أقل صفات المأوى»14 ، كما يمكن للبيت أن تكون له وظائف أخرى منها «وظيفة اجتماعية شعبية ، بمعنى لا أحد يبنمها لحاجة نفسية بحتة، كما لو كانت قطعة أثاث ، بل وإن تداخلت هذه الرغبة في البناء تبقى مع ذلك رغبة خارجية»15 ، وفي قصيدة " بيتي " يذكر الشاعر البيت ويستحضره بفائض من عواطف ومشاعر تؤثث هذا المكان الحميم ، فزيادة على أنه مأوى للعائلة فهو مبعث لكثير من العواطف كالمحبة وإحساس بالألفة والأمان ، والفرح بالشمل الملموم من والدين وإخوة فيقول:

هذا بيتي أسكن فيه ** وهو الساكنُ دوما قلبي
منه أسافر بل وإليه ** وله أحملُ كلَّ الحبِّ
أختي وأخي أمي وأبي ** معهم يحلو البيت ويصفو
معهم أيامي كالذهب ** وشعوري ليس له وصفُ
بيتي والذكرى لا تنسى ** حيث ولدتُ مع الأقمارِ
وهنا الظلمة تصبح شمسا ** بيتي نهر الأمل الجاري"16

إنّ في هذه القصيدة الشيء الكثير مما قال به غاستون باشلار في معرض حديثه عن جماليات المكان وعن جوهر البيت كمكون عائلي ومكاني وعاطفي كبير بالنسبة لنا نحن البشر، فالبيت «تشكل عالمنا وجوهر وجودنا ، إذ فيها نمارس أحلام يقظتنا ، ونستشعر الهدوء الوريث الذي نستعيد من خلاله ذكرياتنا المواضي ونخطط لمشاعرنا»17 ، وبذلك تتعد وظائف البيت/المنزل ، منها الاجتماعية لتكوين نسيج اجتماعي إقامي على شكل مدن ، قرى وأحياء ، وهي بذلك ذات طابع أسري/عائلي، كما أنها ذات طابع فردي بوصفها مرتعا للأحلام والذكريات وراحة للنفس وسكينة لها ، وهناك لواحق هندسية تابعة للبيت ومن مكوناته الجمالية والوظيفية أيضا نجد لها حضورا في الديوان وهي " الشرفة" فزيادة على أنها إطلالة على العالم الخارجي، وجزء من انفتاح البيت على فضاءات أخرى فهي ذات مدلولات أخرى في قصيدة "تمارين الصباح" حيث قال الشاعر:

في الشرفة راوحت قليلا ** كان هواءُ الصبح قليلا
وبدأت تمارينَ صباحي ** بنشاط ماكنت كسولا
يتحرك جسدي بنظام ** عضلاتي تتقوى أكثرُ
أنجز تمرينا تمرينا ** وأرى وجهي أصبح أنضر18

زيادة على القيم الجمالية في هذا الديوان عند اشتغاله على البيت بوصفه مأوى ومبعثا على الفرحة ، فإنه يحمل قيما تربوية أخرى تضاف إلى سلسلة قيمه ، ومن ذلك أنه استحضر البيت بالنسبة إلى

الطفل كمحك في الحياة وفرصة لتحمل مسؤوليات البيت في غياب أحد الوالدين أو كليهما، بوعي ومسؤولية ومحبة:

كم أشعر أني مسؤولٌ ** عن بيت لم أتعب فيه
فأبي قد سافر أسبوعاً ** وأنا الأكبر بين بنيه
لم أَلعب لم أهمل درسي ** ووجد ونشاط أعمل
وأساعد أمي مسروراً ** عن عملي هذا لا أكسل
أختي الصغرى وأخي الأصغر ** بهما أهتم ولا أضجر
أه كم تتعب يا بابا ** كم تعطي من غير مقابل

عاد أبي كم كان سعيداً ** عانق فيّ الولد العاقل 19

يعد البيت أيضاً مكاناً لالتقاء الأقارب وتزاورهم ونشوء علاقات حميمة أيضاً بين الأهل ، وفي الديوان ما يحمل إلى الطفل قيماً جماهيرية اجتماعية تعمل على إرساء دعائم الحس العائلي وتوسعة الرؤى العائلية والاجتماعية:

قد زارنا بعضُ الأقارب في المساء ** دخلوا وحيونا وقابلهم أبي
أهلاً وسهلاً بيتنا معكم أضاء ** وبشاشته في وجهه لم تغرب 20

تعد المدرسة من الأماكن الأكثر حضوراً في النص الشعري العربي الموجه إلى الطفل وذلك لارتباطها بالمراحل التعليمية الأولى له ، وبوصفها المكان الأول الذي يغادر من أجله الطفل بيته ومأواه الأول إليها، لذلك يتعلق بها الأطفال أيما تعلق ، كما أنها الملتقى الجمعي الأول للطفل بغيره من زملاء ليس شرطاً أن يكونوا من الأهل والأقارب، ففي المدرسة الرفقة والعلم ومفاتيح الاطلاع على عوالم رحبة كما ورد في قصيدة " مدرستي":

في مدرستي كم أتعلم *** ومع العلم أنا أتقدم
أتعرف آثار بلادي *** وبلادي مهد الأمجاد

يكبر عقلي تنمو لغتي *** لا أنسى فضلك مدرستي 21

من الأمكنة الحميمة التي استحضرها الشاعر في هذا الديوان " القرية" بوصفها تجمعاً سكانياً وملتقى للأهالي والجيران، وبوصفها مكوناً اجتماعياً مطبوعاً بجملة من العواطف والأهواء كالمحبة والشعور بالوحدة والتكافل والفرح ، كما جاء في قصيدة " قريتنا":

منذ الصباح أفاق أهل القرية
وتجمعوا بمروءة ومحبة

فهناك أعمال سينجزها الجميع

إلا الذي من بينهم لا يستطيع

ومضوا إلى أعمالهم في همّة 22

استحضر الشاعر في نص آخر مكانا يراه هاما ومبعثا على الجد والعمل وطريقا إلى تحقيق الأحلام والآمال وهو " المعمل " رمز الجد والكد والاجتهاد والتحدي من اجل تحقيق أحلام الجميع وطريقا إلى الرقي وازدهار الفرد والمجتمع والوطن فقال في قصيدة " نحقق حلمنا":
 معا نبني معا نعمل ** نحقق حلمنا الأفضل
 نعمر أرضنا حتى ** نراها دائما أجمل
 وكل وفق مهنته ** وكل حسب طاقته
 يقدم جهده فرحا ** يجدد من عزيمته 23

استحضر الشاعر " المطار " كمكان للاستقبال والتوديع أثناء السفر والمغادرة والفرق واللقاء بالأهل والأحبة لذلك ورد ذكره بكثير من العواطف والمشاعر كما ورد في قصيدة " وداع الأب":
 نحو المطار صحبتته ** ودعته متألما
 في حفظ ربي يا أبي ** تمضي وترجع سالما 24
 الحقل مكان للاخضرار والحياة والفرح ، ويكون أكثر حميمية للأطفال حينما يشعرون أنهم يساهمون في حياته وتألقه وصناعة جماله بالغرس والبذر والسقي والاهتمام كما جاء في قصيدة " بيدي":

بيدي حقلي يصبح أخضر ** ما أحلاه إذا ما أثمر
 شجري عطي أشهى ثمر ** بيدي أجلي الثمر الأخضر 25
 تعلمنا بعض الأماكن الروح الرياضية والأخوية والتعاون والألفة والمنافسة الشريفة والروح الإنسانية التي تجمع أطفال العالم كلهم ، وتجسد ذلك في قصيدة " بيدي":
 مع أصحابي بيدي ألعب ** في ملعبنا كرة السلّة
 إن نتعب بيدينا نشرب ** نعطي المتعب منا مهله 26

ويكون الحي أيضا مكانا للعب والالتقاء العفوي الجميل بين الأطفال وحين استحضره الشاعر فإنه جعله ذا محمولات عاطفية قيمة كاللعب الصافي والمرح الجميل والحب المطلق والفرح ببعض:
 في أرجاء الحي لعبنا ** وتلاقينا كل نهار
 وجربنا مرحا وتعبنا ** وجلسنا تحت الأشجار 27

يحتاج الإنسان عموما والطفل خصوصا إلى أماكن تساعد على ممارسه هواياته وتقبل ميولاته وتفتح أمامه سبلا لتفجير طاقاته واكتشاف كفاءاته المختلفة سواء تعلق الأمر بالفنون أو الآداب ، كالرسم والموسيقى والشعر والتمثيل أيضا ، ونعثر في الديوان على كثير من هذه الأماكن الحاملة

المشجعة التي تعد مبعثا للانطلاق والاكتشاف والممارسة الذاتية لميولات الذات الطفولية ، ومن هذه الأماكن " المرسم " وفيه يقول الشاعر في قصيدة "ألوان في كل مكان":

بالفرشاة وبالألوان ** أرسم في اللوحة بستان
بالأخضر لونت الشجره ** بالأحمر لونت الثمره
لونت الزهرة بالأصفر ** بالأبيض حيناً والأحمر
وسمائي باللون الأزرق ** والأزرق يصفو يتألق
ألوان في كل مكان ** لا تحصى هذي الألوان 28

وظّف الشاعر حديقة الحيوان كمكان للفرجة والتنفيس والاكتشاف ، كما كان استحضاره له ذا بعد تعليمي من خلال ذكر أسماء الحيوانات مع صغارها ونقل ما بين هذه الحيوانات الأليفة وغير الأليفة من دفاء وحميمية:

يوما في إحدى الرحلات ** زرت حديقة حيوانات
مع أصحابي ومدرّستي ** وقضينا أحلى لأوقات
هذا العجل صغير البقرة ** يغفو تحت غصون الشجرة
وهنا فرس تحضن مهرا ** والمنظر يغمرني سحرا
ولد النسريسي هيثم ** وابن الدب يسمى ديسم

وصغير الفيل هو الدغفل ** وابن الثعلب يدعى تنفل 29
يشكل البحر بالنسبة إلى الطفل المتعة والانفتاح والراحة لذلك اقترن في قصيدة " ومن نغم إلى نغم " بالألحان والهدوء:

وألحانٌ تريني روعة الشاطئ
وضوء البدر يغمرني

وهذا البحرُ يرسل موجه الهادي 30

كانت الصحراء وستخلد رمزا للصفاء والشساعة والجمال العذري ومصدرا للإلهام ودرسا في الصبر وتحمل مشاق الحياة بقوة ووداعة ، وجاء استحضارها في الديوان كمكان مؤثث بالجمال ومكوناته من مناظر ساحرة وحيوانات بهية ترمز للصبر والتحدي والرقّة والألفة أحيانا فورد في قصيدة " في بيتنا حيوانات ":

جَمَلٌ يمشي في الصحراء ** محتملا حرا وعناء
هو حقا في العيش صبور ** لا يشكورغم الأعباء
غزلان قرب الواحات ** تبدو في حسن وبهاء
تحذر تهرب في لحظات ** تعدو في كل الأرجاء 30

نجد في بعض مقطوعات الديوان وقصائده كثيرا من الأمكنة المرتبطة بأهواء وعواطف شاهقة الحس ، كان ترتبط الحقول بكل جمالها وعمقها بعاطفة الأمومة وبأعلى الناس في حياتنا وهي الأم، كما جاء في قصيدة "لحظات لا تنسى مع أمي":

حقول الورد والزهر وما في البحر من مرجان
وكل قصائد الشعر وكل حمائم الأكوان
أراها لم تعد تكفي لأرسم صورة العطف
وصورة رحمة وحنان
لأمي وهي تعطيني محبتها وتهديني
دقائق عمرها بأمان 31

الوطن هو المكان وما وراء المكان وما تحتويه الأمكنة وما نسكنه ويسكننا فبقدر شجاعته يسكن قلوبنا وبقدر ضيقه يتسع للجميع، واستحضره الشاعر في قصيدته "في بلدي نبي المستقبل":

لي أهداف أتمناها ** ولها أسعى لا أنساها
وطموحي ينمو في قلبي ** أزهارا قد فاح شذاها
أبذل جهدي حتى اغني ** بلدي ولكل يساعدي
أعظم أهدا في أني أبني ** بلدا أسكنه يسكنني
هدفي أن تصبح يا بلدي ** أحلى بلد في المعموره
أشجارك أزرعها بيدي ** كي تبدو في أروع صورة 32

ليست العروبة فضاءً لغويا قوميا بقدر ما استحضرها الشاعر كأمكنة وأوطان تجمع بينها أواصر عديدة، مع إلحاح في الاتحاد والتعاون ، كما في قصيدة "في حب وإخاء نحيا":

نحيا في وطن عربي ** كل منا يسكن دارا
في حب وإخاء نحيا ** نتعاون ليلا ونهارا
أنا من قلب دمشق الشام ** أحيا بجوار الأموي
وأنا من بلدي السودان ** حبي لكم وسع النيل
أنا يا صحبي من الصومال ** من مقديشو حيث البحر
من تونس حيث الزيتون ** تغمر خضرته الأرجاء
نحيا في وطن عربي ** كل منا يسكن دارا 33

كما عرج الشاعر على أماكن عديدة ناقلا حميمياتها بالنسبة إلى الطفل:

وطن عربي ومدينه.. وطن.. بيت.. جي.. عالم
سنرتب هذي الكلمات

من أصغرها حيث الأكبر
 نبدأ بالبيت وكم تحلو في البيت حياه
 ويجيء الحيّ يضم بيوتا شتى ومحلات
 من بعد البيت مدينتنا عدّة أحياء
 فيها ساحات وشوارع فيها أبناء
 ثم الوطن فيه المدن..34

وتظل بعض الأمكنة تحتاج إلى الفرح والحياة والخصب والنماء لذلك يرجو الشاعر لها المطر الذي
 يبعث فيها الفرح والحياة ويمسح عنها أحزانها وتعنها كما جاء في قصيدة "أين المطر":

غاب المطر
 جف النهر
 في قريتي حزن القمر
 فالأرض عطشى والطيور
 والكل من ظمأ يدور
 أين المطر؟
 يقي الشجر
 ويعيد للأرض السرور35

خاتمة:

حاولنا في هذا المقال التوقف عند مكون شعري هام وهو " المكان " بكل محمولاته وجمالياته
 ودلالاته في ديوان شعري اشتغل فيه صاحبه بوعي وعمق على كامل مكونات النص الشعري الموجه
 إلى الطفل وعلى المكان بالخصوص.

- لقد استحضّر الشاعر كثيرا من الأمكنة التي تشغل عوالم الطفولة وتؤثت احتياجات الطفل
 النفسية والجمالية والعاطفية .

- تنوعت الأمكنة بين المنفتحة والمنغلقة وبين الفردية والجمعية وكانت ذوات محمولات وجدانية كثيرة.

- تنوعت وتعددت القيم في هذا الديوان بين قيم اجتماعية وتربوية وعاطفية وإنسانية وارتبطت
 جميع القيم بعنصر المكان فزادته عمقا وزادها المكان وضوحا وحضورا .

- لم يكن عنصر المكان في هذا الديوان مجرد مكون نصي وجمالية للتخاطب الشعري مع الطفل ،
 إنما كان فضاء تكافل مع باقي المكونات النصية من أجل إعطاء مسحة بهية واعية عميقة منتجة
 لكثير من القيم الجمالية التثقيفية التعليمية التي تحقق للطفل كفاياته المتعددة.

اليوماش:

1- سمرروحي الفيصل : أدب الطفل وثقافتهم، قراءة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998ص38

- 2- محمود أبو فنه: اتجاهات جديدة في أدب الأطفال المحليّ في كتاب: "مرايا في النقد". إعداد وتقديم محمود غنايم مركز دراسات الأدب العربيّ - بيت بيرل، دار الهدى- ص 112.
- 3- سمرروحي الفيصل، المرجع السابق ، ص 81
- 4- شريفة جوادي: محاضرات السنة الثالثة جامعي، مادة أدب الأطفال، نظام (ل م د)- ص 15
- 5- شريفة جوادي: المرجع السابق، ص 16
- 6- سليمان العيسى: ديوان الأطفال. المقدمة.. بيروت. دار الفكر دمشق ط1..1999. د. ص
- 7- المرجع نفسه ، د. ص
- 8- حسن شحاتة: أدب الطفل العربي، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، ط3، 2004. ص 260.
9. ص 69، 1990، ط2 البيضاء، الدار العربي، الثقافي المركز، النص مفتاح: دينامية 9- محمد
- 10- شريط أحمد شريط: الزلزال، تأويل الشخصيات والمكان، مجلة المسألة، ع1، 1991، ص 75.
- جيرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة 11- موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي (دراسة تطبيقية) دار الأولى 2008. ص 74
- 12- إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة الجزائر، 2011، ص 188.
- 13- ياسين النصير: الرواية والمكان، دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الثانية، 2010 ص 15.
- 14- غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1987، ص 36.
- 15- ياسين النصير: المرجع السابق، ص 95.
- 16- قحطان يرقدار: نغم على نغم، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2008، ص 39
- باشلار: جماليات المكان، ص 60. 17- غاستون
- 18- الديوان: ص 40
- 19- الديوان: ص 56
- 20- الديوان: ص 50
- 21- الديوان: ص 58
- 22- الديوان: ص 26
- 23- الديوان: ص 4
- 24- الديوان: ص 6
- 25- الديوان: ص 6
- 26- الديوان: ص 8
- 27- الديوان: ص 12
- 28- الديوان: ص 17
- 29- الديوان: ص 17
- 30- الديوان: ص 16

31- الديوان: ص 52

32- الديوان: ص 38

33- الديوان: ص 34

34- الديوان: ص 48

35- الديوان: ص 50